1

طبيعة علم الجغرافيا وتطورها

obeikandl.com

obeikandl.com

ميدان علم الجغرافيا :

يتحدد ميدان علم الجغرافيا فى سطح الأرض، ومايعلوه من ظاهرات متعددة ومتنوعة، غير أن الجغرافيين لم يجمعوا على تعريف واحد له، لما يتسم به هذا العلم من تعقيد وتشابك فى علاقاته مع العلوم الأخرى، الأمر الذى أدى إلى تغير فى محتواه ومضمونه، وربما دعا هذا كلاً من «وولد ردج.» إلى القول بأنه لو حاول الإنسان خلال عمره القصير الذى لا يتجاوز السبعين عاماً أن يؤهل نفسه إلى أن يكون جغرافياً فإنه سيفنى قبل أن يصل إلى نهاية طريقه الأكاديمى الذى لا نهاية له، وقبل أن يدرك الموضوع بنفسه.

وإذا كان لكل علم ميدانه الذى يبحث فيه أصحابه ويسعون إلى التوصل إلى مكوناته من الحقائق، فإن علم الجغرافيا له ميدانه وهو سطح الأرض، والذى تشاركه فيه علوم أخرى كثيرة خاصة إذا ما نظرنا إلى الأرض بأقسامها المختلفة.

وقد يرجع الفضل إلى العالم «بوش» فى هذا الصدد، فهو يرى أن - الجغرافيا تدرس المجموع الجغرافى المتكامل، والذى أسماه الجيوسفير الذى يضم الغلاف الغازى والغلاف الحيوى، والغلاف المائى، والغلاف اليابس، والغلاف الباطنى، والغلاف البشرى.

وفى ضوء ذلك فإن علم الجغرافيا يبحث فى قشرة الأرض، وما يعلوها من هذه الأغلفة، ومن المسلم به أن القشرة الأرضية تتضمن عديداً من الظواهر الطبيعية والبشرية، وأن الغلاف الغازى، وهو الشق الثانى من ميدان الدراسة الجغرافية له دوره الكبير وتأثيره الواضح فى تشكيل ظواهر سطح الأرض المختلفة.

ولما كانت بداية العمل الجغرافى هو رصد الظواهر الطبيعية، واستخدام المنهج العلمى فى درساتها كما هو متبع فى بقية العلوم الطبيعية. . فإن هناك شبه اتفاق بين الجغرافيين على محتوى جانب رئيسى من جوانب الجغرافية وهو الجغرافية الطبيعية.

غير أن محتوى الجانب البشرى لعلم الجغرافيا لم يحظ بهذا الاتفاق كالجانب الطبيعى، وربما يرجع ذلك إلى حداثة البحث فى هذا الجانب، فضلاً عن أن دراسته استندت إلى مدارس فكرية مختلفة كالمدرسة الحتمية الجغرافية والمدرسة الإمكانية، وسوف نعرض لهما فيما بعد.

وعلى الرغم من عدم الاتفاق على محتوى الجانب البشرى، إلا أنه تم التوصل إلى مجموعة مكونة من خمسة مبادئ، يمكن الاستعانة بها لمعرفة محتوى الجغرافيا البشرية، وهى:

١ـ أن تكون الظاهرة موضع الدراسة واضحة، ويمكن توزيعها على خرائط.

٢ـ أن تكون الظاهرة منتشرة فى العالم على نحو متغير ومتنوع تبعاً للمكان.

٣ـ أن تكون هناك علاقة تبادلية بين الظاهرة وغيرها من الظواهر.

٤ـ أن تشغل الظاهرة حيزاً معتدلاً من المكان أو المنطقة.

٥ـ أن تكون الظاهرة مهمة للإنسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ومن هذا المنطلق نجد أن ميدان علم الجغرافيا، يتسع يوماً بعد يوم، وذلك يرجع إلى أن الجغرافيا اليوم تخطت إلى البحث فى أمور الحياة ومشاكل العصر المتعددة والمعقدة، وأصبحت أكثر اتصالاً وإحساساً بالواقع الاجتماعى والاقتصادى والمعيشى للإنسان.

واستناداً إلى ماتقدم. . فقد تدعمت صلة علم الجغرافيا بعمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتوظيفها، لتناول وبحث مشكلاتها الواقعية وهو مايعرف بالجغرافية التطبيقية.

ومن هذا المنطلق تأكدت علمية الجغرافيا، وأصبحت لها شخصيتها المتميزة وأصبحت علماً له وسائله وأدواته ومداخله العديدة، الأمر الذى أدى إلى ظهور الدراسات الميدانية والحقلية التى تستهدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهو الأمر الذى دعم تشبع علم الجغرافيا بالعامل الإنسانى والبشرى.

ولهذا اتجه الجغرافيون حديثاً إلى محاولة الوصول إلى قوانين تحكم هذا العلم، وتجعل منه علماً راسخاً له أصوله؛ الأمر الذى أصبح لعلم الجغرافيا معه هيكله المتماسك بفروعه المتعددة، تلك التى تقتضى الضرورة التعرض لها لما لها من أهمية كبيرة فى الوقوف على محتواها، كما ينبغى التعرض إلى طبيعة علم الجغرافيا من حيث نشأته ونموه وتطوره. والتعرض للنشأة من القديم، قد توضح لنا المسار الذى أخذه هذا العلم فى تطوره، لأن هذا التطور التاريخى يستند إليه فى تحديد أوجه القصور فى المحتوى الواجب تقديمه فى مقررات الجغرافيا لتلاميذ مراحل التعليم العام عندنا، والذى يجب أن نضعه بعين الاعتبار عند تطوير مناهج الجغرافيا، سواء كان ذلك من حيث الاتجاهات الحديثة للعلم أو من حيث الفروع الجديدة التى استحدثها العلم؛ لما لذلك من أهمية كبيرة يجب تضمينها فى مقررات الجغرافيا هذه، وسيكون التركيز هنا على مرحلة الفكر الجغرافى الحديث والمعاصر، تلك التى سنعالجها بالتفصيل مع بيان المنهج الجغرافى الحديث لما له من أهمية فى هذا الشأن؛ لكى يقف طلابنا على هذا العلم وتطوره وميدانه.

طبيعة علم الجغرافيا من حيث: نشأته ونموه وتطوره

يكاد يجمع فلاسفة علم الجغرافيا ومفكروه على أن المعرفة الجغرافية ذات أصول عريقة، تعود إلى أقدم حضارات الإنسان، كما يقررون أن عمر الجغرافيا كعلم وموضوع مميز الشخصية يزيد على الألفى سنة.

إلا أن الفكر الجغرافى الحديث هو وليد جهود فلاسفة ومفكرى العلم، وخلاصة لأبحاثهم فى المائة سنة الأخيرة أو ما يزيد بقليل، وأن ماحدث من تطورات فى مجالاته المتعددة خلال القرن الأخير، وإلى الآن يفوق ماحدث عبر القرون المتعددة السابقة لذلك منذ نشأته.

وربما كان من المفيد هنا أن يقف طلابنا فى كليات التربية ـ وفى مراحل التعليم العام ـ على الخطوط الرئيسية لتطور هذا العالم منذ نشأته فى شئ من الإيجاز، إلا أنه من الضرورى بمكان أن نسهب فى توضيح التطور الحديث للعلم؛ لما لذلك من أهمية كبيرة فى المعرفة الجغرافية فلسفةً وميداناً ومنهجاً، وما لهذه الفترة أيضاً من أساس كبير فى هذه التطورات لتتضح صورة موقف مناهج ومقررات الجغرافية فى مدرستنا المصرية فى الوقت الحاضر من هذا التطور الهائل لهذا العلم، ومدى إمكانية الاستفادة منه فى مناهجنا، ومقررات الجغرافيا فى المستقبل فى جميع مراحل التعليم العام:

وفيما يلى دراسة موجزة لتطوير علم الجغرافيا:

(١) الفكر الجغرافى القديم:

يطلق بعض المفكرين الجغرافيين على هذه المرحلة القديمة للفكر الجغرافى بالحتمية القديمة، التى خضع الإنسان فيها خضوعاً كاملاً لبيئته الطبيعية؛ ذلك لأن الإنسان حينما نشأ على سطح الأرض وجد نفسه محاطاً بعديد من الظاهرات الطبيعية المختلفة والمتنوعة باختلاف وتنوع المكان، والتى تحكمت تحكماً يكاد يكون كاملاً فى حياة الإنسان فى ذلك الوقت، ومن ثم فقد ارتكز الفكر الجغرافى فى العصور القديمة على دعائم ثلاث، هى:

أ ـ الكشف الجغرافى الذى أدى إلى جمع كثير من الحقائق عن سطح الأرض.

ب ـ رسم الخرائط والمصورات الجغرافية للمناطق المعروفة.

جـ ـ التأمل فى المادة والمعلومات التى جمعها المكتشفون.

ويعتقد أن هذه الدعائم الثلاث كانت تستند إلى ملاحظة الإنسان لما يحيط به من ظاهرات طبيعية، الأمر الذى جعل الفكر الجغرافى فى هذه المرحلة يرتبط إلى حد كبير بالمعلومات الوصفية للأرض وسكانها منذ أقدم أيام الحضارات الأولى؛ حيث كان الاهتمام منصباً على معرفة شكل الأرض والعلاقة بينها وبين الكون من ناحية، وبينها وبين المكان الذى كانت توجد فيه تلك الحضارات من ناحية أخرى، باعتبار أن ذلك المكان كان يشكل بؤرة الاهتمام بالنسبة لهم.

إلا أن التفكير الجغرافى بهذه الصورة لا يرقى إلى مرتبة العلم، وذلك لأنه لم يلتزم بمنهج معين يصل به إلى القانون.

غير أننا نلاحظ أن مراحل تطوير علم الجغرافيا هذه، كانت تنصب على سعى الإنسان القديم إلى تعرف بيئته الطبيعية فى بعدها المكانى الضيق، من خلال الملاحظة والمقارنة، وإيجاد العلاقات بين كل مايتصل به ويتفاعل معه فى حياته اليومية.

وقد أشار وولد ردج فى هذا الصدد إلى القول بأن جغرافية الرجل البدائى كانت جغرافيا قانونها التجربة والمشاهدة.

أما البابليون والمصريون القدماء، فقد تتابعت اهتماماتهم الجغرافية من حيث أن الجغرافية عندهما هى علم يتناول شكل الأرض وما عليها من ظاهرات طبيعية.

إلا أن كثيراً من مفكرى وفلاسفة الفكر الجغرافى يكادون يجمعون على أن الإغريق، هم مؤسسو علم الجغرافيا، ويبررون ذلك بأن مصطلح جغرافية «له أصل إغريقى، يتألف من مقطعين يونانيين معناهما اللفظى «شكل الأرض».

وقد تركزت اهتمامات الإغريق الجغرافية حول شكل الأرض أيضاً، إلا أنهم زادوا على ذلك اهتمامهم بحجمها، وأبعادها، وبوصف البلدان وسكانها.

كما أن التوصل إلى فكرة «كروية الأرض» قد أدى بالفكر الإغريقى إلى تقسيمها إلى عدد من خطوط العرض، على أساس اختلاف الطول النسبى للنهار والليل من خط لآخر، وميل الشمس عن خط الاستواء، الأمر الذى أدى فيما بعد إلى تقسيم سطح الأرض لأقاليم مناخية.

ويولى مؤرخو الفكر الجغرافى أهمية كبيرة لما كتبه الإغريق فى الجغرافيا؛ فهم يرجعون إلى الإغريق - وعلى يد «طاليس» بالذات - نشأة الجغرافيا الفلكية الرياضية، ونشأة بعض فروع الجغرافيا الطبيعية، عن طريق التأمل فى ظواهر

الجو، وحركات المد والجزر، وحدوث البراكين، وتكوين الدالات النهرية، كما وجهوا اهتماماتهم أيضاً نحو ما يعرف «بجغرافية النبات» عن طريق دراسة العلاقة بين ظواهر الجو والنبات.

كما أشار حكماء الإغريق أيضاً إلى الجغرافيا البشرية بطريق غير مباشر، حينما كانوا يرجعون ما تمتاز به الشعوب من إخلاق إلى البيئة الطبيعية التى يعيشون فيها.

على أننا يمكن أن نلاحظ أن اهتمامات الإغريق فى هذا المجال ماهى إلا محاولات لتفسير عديد من الظواهر الجغرافية، بقصد تكوين فكرة واضحة عن سطح الأرض.

أما جهود اليونانيين فى تطور الفكر الجغرافى، فربما ترجع أساساً إلى النزعة العسكرية والتجارية التى ارتبطت بالفتوحات الخارجية لهم، ومعرفتهم لطبيعة وحياة الشعوب التى فتحوها.

على أن وصف الأرض وسكانها ازداد كثيراً فى العهد الرومانى، حيث تميزت الكتابات الجغرافية فيه بالسمة العسكرية والتجارية التى اتسمت بها الحياة آنذاك.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نقول إن «المكان» بمدلوله الفلكى تبعاً لموقعه من خطوط العرض بصورة خاصة، ومدلوله، الجغرافى ـ الذى يوضح علاقته بالأماكن أو المناطق يكون جوهر الفلسفة الجغرافية.

وربما انتهى الفكر الجغرافى القديم تاريخياً بسقوط الإمبراطورية الرومانية؛ حيث دخلت أوروبا بعدها فى مايسمى بالفترة المظلمة للعصور الوسطى، كما انتقل الثقل الحضارى والمعرفى إلى العرب خلال تلك الفترة.

غير أن المنهج الجغرافى الذى ساد هذه الفترة هو المنهج الوصفى المجرد، الذى اختص بوصف سطح الأرض دون التعرض إلى حد كبير للتفسير والتحليل والربط.

وانطلاقاً مما سبق.. يمكن أن نرى الفكرة الأساسية التى دار حولها البحث الجغرافى ومنهجه منذ نشأته، ووصف سطح الأرض «باعتباره مكان وجود الإنسان» وأن هذه الفكرة ظلت محور الدراسة عبر العصور، وربما حتى يومنا هذا، وقد دعَّم هذه الفكرة ما جاء فى كتاب بطليموس فى الجغرافيا والمسمى «الدليل فى الجغرافيا»، الذى جمع فيه نتاج وخلاصة الفكر الإغريقى عن الأرض ووصفها وتحديد أماكنها على خريطة بحسب موقعها من خطوط الطول والعرض، ثم اتبع ذلك بوصف مستفيض لهذه المواقع المعروفة آنذاك.

(٢) الفكر الجغرافى فى العصور الوسطى:

ربما أدت سيطرة البربرية على أوروبا وانحسار المسيحية إلى الأديرة؛ حيث أخذت معها ما تمكنت من جمعه من تراث الفكر ومنه الفكر الجغرافى.. ربما أدى ذلك إلى ظهور وتأثير البعد الدينى فى الجغرافيا، الذى ظهر فى رسم الخرائط التى كانت تحمل طابع الزخرفة الدينية، وقد أدى ذلك إلى دخول أوروبا للعصور المظلمة، الأمر الذى أدى إلى انتقال الثقل الحضارى إلى العالم العربى الإسلامى.

وقد اهتمت الدول العربية الإسلامية بالجغرافيا اهتماماً كبيراً ضمن اهتماماتها بالعلوم الأخرى، وربما يرجع ذلك إلى بيئة العرب القاسية التى عاشوا فيها، الأمر الذى دفعهم إلى البحث عن أماكن جديدة للاستقرار، إلى جانب هدفهم الأساسى، وهو نشر الإسلام. كما كانت عملية جمع الجزية وجباية الخراج تقتضى تعرف ظروف البلدان المفتوحة لتعيين نصيب كل منها من هذه العوائد، كما كانت فريضة الحج للمسلمين تقتضى تعرف المسالك التى تؤدى بهم إلى مكة، هذا فضلاً عن النشاط التجارى والثقافى الذى ازداد بين الدولة الإسلامية الجديدة، وبينها وبين جيرانها عن طريق حركة كبيرة من النقل والترجمة لتراث تلك الحضارة المجاورة.

وإلى جانب ذلك كان للعرب دراية واسعة بعلوم الفلك، وجغرافية الوصف

والتفسير والتعليل، كما كانوا يجمعون البيانات والحقائق والمعلومات الجغرافية عن طريق الرحلات التى اشتهروا بها، وهذا يدعونا إلى القول بأن الجغرافيا العربية فى نشأتها الأولى وليدة ظروف البيئة الطبيعية إلى حد كبير.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن العرب كان لهم دور متميز فى تطور علم الجغرافيا فى العصور الوسطى، فلقد كان لهم فضل الريادة فى هذا العلم، عن طريق حركة كبيرة من النقل والترجمة والتأليف؛ حيث تأثر مفكرو الجغرافية العرب بكتاب الجغرافية لبطليموس، الذى انتهج نهجاً رياضياً فلكياً، فأسسوا مرصداً بالآلات أهمها الاصطرلاب. وقد هيأ صفاء الجو فى بيئتهم التقدم فى مجال الأرصاد الفلكية، كما أضافوا لجهود الإغريق تحديداً أدق لدوائر العرض وخطوط الطول، وتحديد شكل الأرض وقياس حجمها، ومحاولات لدراسة حركتها.

وإلى جانب ذلك حقق العرب عما سبقوهم تقدماً فى مجال جغرافية الوصف، وساعدهم على ذلك ظروف اتساع دولتهم ورحلاتهم، ومن أشهر مؤلفاتهم كتاب «الخوارزمى» «صورة الأرض» وغيره من كتب الوصف الجغرافى.

وتعرض العرب كذلك إلى ظاهرات عديدة اعتبرت فيما بعد فروعاً حديثة للجغرافية، فتعرضوا لظاهرة كسوف الشمس فى كتابات إخوان الصفا، ولدورة الفصول تبعاً لحركة الشمس الظاهرية وأيدوا فكرة كروية الأرض، وقالوا بوجود غلاف جوى يحيط بالكرة الأرضية، كما بحثوا فى ظواهر الجو وأثر التعرية، وتركيب المعادن، وظواهر الزلازل والبراكين، وبحثوا فى النبات ومواطن الحيوان.

كما اهتم العرب بفرع الجغرافيا الاقتصادية، معتمدين فى ذلك على الرى وموارد المياه الخاصة بالزراعة وتوزيع الغلات الزراعية، والثروة المعدنية وتجارة الممالك الإسلامية، كما تعرضوا فى كتاباتهم لبعض الصناعات القائمة آنذاك.

وبالإضافة إلى ذلك.. ظهرت كتابات للعرب المسلمين فيما يعرف الآن

بجغرافية المدن، تلك التى أشاروا فيها إلى الاختلافات بينها وبين القرى، وربما كان هذا الاتجاه من أفضل ما كتب فيه العرب، كما كانت لهم محاولات فى دراسة الجغرافية الإقليمية، كما ظهرت من محاولة «المقديسى»، الذى قام بتقسيم العراق على أساس التضاريس، أو على أساس المناخ، كما فعل «الاصطخرى»، وكانت محاولاتهم هذه هى دراسة للأرض على أساس موقعها والناس الذين يعيشون عليها، كما أخذوا فى اعتبارهم المظهر الحضارى للإقليم، وربما كان للعرب أيضاً فضل كبير، بل وأحرزوا السبق فى تصنيف القواميس الجغرافية المعروفة بمعاجم البلدان، غير أن المنهج الجغرافى الذي ساد هذه الفترة هو المنهج الوصفى المجرد، وإن كان قد بدأ بتفسير هذه الظواهر، ولعله من الإنصاف أن تقول إن تطور الجغرافية عند العرب المسلمين يورثهم المجد والفخر بين شعوب العالم، وهم بذلك همزة الوصل بين الفكر الجغرافى القديم والتطور الحديث لعلم الجغرافيا.

(٣) الفكر الجغرافى الحديث: نموه وتطوره:

أ ـ عصر النهضة والكشوف الجغرافية:

يتميز عصر النهضة بالكشوف الجغرافية التى كان لها دور كبير فى تقدم وتطور علم الجغرافيا؛ حيث يعزى إليه إضافات جديدة من حقائق ومعارف عديدة نتجت عن الكشوف الجغرافية. وعلى الرغم من ذلك لم يحدث تغير جوهرى فى الفكر الجغرافى عما كان عليه فيما سبق، من حيث الاعتماد على الجانب الوصفى.

إلا أنه يمكن القول بأن الجغرافية الحديثة ـ والتى بدأت بعصر النهضة ـ تختلف اختلافاً بيناً عن الجغرافية القديمة، ويتمثل هذا الاختلاف فى سعيها المستمر لتصبح علماً يأخذ مكانه بين العلوم؛ فقد أخذت الجغرافية الحديثة صفة العلم بعد أن ظلت قروناً طويلة تضم أشتاتاً من المعارف والحقائق يغلب عليها الطابع الوصفى أيضاً، بل وتفتقد إلى الوحدة والتجانس.

غير أن حركة الكشوف الجغرافية مهدت السبيل لمعرفة عالم اليوم؛ حيث

اكتشفت قارات العالم الجديد، كما اكتشفت مجاهل البحار والمحيطات بفضل البرتغاليين والإسبان. وبالاستعانة بالبحارة العرب فى بادئ الأمر، ثم تبعهم عدد من الأوروبيين فيما بعد، الأمر الذى مهد إلى اتساع مجال العلم وإثراء معارفه.

وفى خضم هذه الثورة العلمية.. عاد السؤال الذى تردد عبر العصور يمثل مجالاً فى تفكير العلماء وهو ما مركز الإنسان فى هذا الكون؟ وهل الأرض قد خلقت لتكون مسرحاً له؟ أم هو جزء كبقية الأجزاء المكونة للكون؟ ولعلنا ندرك أن مثل هذا التساؤل قد أدى إلى زيادة الاهتمام بالبحث الجغرافى، ولأول مرة ينتقل هذا العلم من الوصف التقليدى المجرد إلى الاستناد فى الوصف على الظواهر الطبيعية الملموسة.

وامتداداً لتطور العلم.. ظهر فى القرن السابع عشر كتابات (بيرنارد فيرانيوس) الذى عرف الجغرافيا «بأنها ذلك القسم من المعرفة، الذى يتكون من مزيج من الرياضيات، التى نتمكن بها من وصف الأرض وأقسامها بطريقة كمية»، ثم قسم الموضوع بعد ذلك إلى قسمين:

١ـ الجغرافية العامة أو العالمية.

٢ـ الجغرافية الخاصة.

وقد اعتبر الجغرافية العامة أو العالمية أساساً لدراسة الجغرافية الخاصة، وأيده فى رأيه كل من داكنسون، وهارتسهورن حيث قالا فى تعريف الجغرافيا: «بأنها ذلك العلم الذى يتناول دراسة الأرض بشكلها العام، ويصف أقسامها والظاهرات التى تؤثر فيها، باعتبار أن ذلك يرسى القواعد والقوانين العامة فى الجغرافيا، التى تساعد على دراسة الأقطار المختلفة، وهى الدراسة التى تكوِّن الجغرافية «الخاصة»، وربما نستند إلى ذلك فى قولنا إن محور هذه الكتابات قد هيأ السبيل لظهور الجغرافية الإقليمية على أساس علمى.

على أنه من المفيد هنا أن نشير إلى أن الاتجاه السائد حتى ذلك الوقت هو سيادة الجانب الطبيعى من الجغرافيا على الجانب البشرى، الأمر الذى جعل

الفيلسوف «كانت» يؤيد ذلك بتأكيده على أهمية دراسة الجغرافيا الطبيعية، وحاول تحديد مفهومها بين العلوم الأخرى؛ مستنداً إلى إطار فلسفى حيث قال: لما كانت الجغرافيا الطبيعية تتناول دراسة الطبيعة، فتكون هى إذاً الأساس الجوهرى لإدراكنا للعالم»، غير أن تلك النظرة الفلسفية، وإن لم تكن تجريبة إلا أنها قدمت منهجاً جديداً أو محتوى علمياً لعلم الجغرافيا «أحدث تغييراً فى الفكر الجغرافى برمته».

وانطلاقاً من كل ماتقدم.. يكون الفكر الجغرافى قد وقف عند بداية تطوره الحديث، إلا أن المنهج الجغرافى ظل على ما كان عليه من حيث الوصف الجغرافى المجرد والتفسير المحدود فى هذه الفترة.

ب ـ الجغرافيا الحديثة:

فى الحقيقة يرجع الفضل فى ظهور الجغرافيا الحديثة للألمان، على يدى «كاول ريتر، وهامبولت» اللذين استندا إلى فكر الفيلسوف «كانت»، ويظهر فضل «ريتر» فى ذلك الشأن بنشره كتابه «دراسة الأرض»، والذى وضع فيه التزامه بالمنهج التجريبى، وأخذ بمبدأ السببية الذى يقوم على التعليل والتفسير، وبذلك طوَّر «ريتر» الجغرافيا من كونها علم «وصف الأرض» إلى «علم الأرض»، وهذا من منطلق أن الجغرافيا فى رأيه لم تكن تجميعاً ووصفاً للمعلومات والحقائق كما سبقه غيره فى ذلك، بل حاول أن يرد هذه المعلومات والحقائق إلى أصولها الجغرافية، وتخطى ذلك إلى محاولة إبراز الاختلافات الإقليمية، التى تهدف إلى إبراز شخصية الإقليم محل الدراسة.

فكان «ريتر» بذلك من أوائل من اتجهوا فى العصر الحديث نحو المنهج الإقليمى؛ ممهداً بذلك لظهور الجغرافية الإقليمية الحديثة، وبالإضافة إلى ذلك اتجه نحو المنهج البيئى عن طريق دراسة العلاقة والترابط بين الظاهرات المختلفة داخل الإقليم الواحد.

وإذا كان «ريتر» يعتنق فكرة مؤداها أن الأرض تعتبر موضعاً لقوى الطبيعة

ومسكناً للإنسان ومسرحاً لنشاطه، فقد تجاوز ذلك باعتبار أن الأرض والإنسان كليهما يؤثر فى الآخر، ومن منطلق هذا التجاوز لم تعد الجغرافيا عند «ريتر» جغرافية طبيعية فقط، بل تعدى ذلك فى اهتماماته إلى جانب الجغرافيا البشرية. وقد أيد همبولت كل آراء وأفكار ريتر، إلا أن همبولت اتجه لدراسة العالم بنظرة كلية، وربما يشير ذلك إلى أن فكر الاثنين يكمل كل منهما الآخر، كما أنهما بحق وضعا حجر الأساس للجغرافيا الحديثة، غير أن الجغرافيا الحديثة تعرضت بعدهما إلى تيارين متصارعين تمثلا فى:

١ـ مدرسة المحتم البيئى.

٢ـ المدرسة الإمكانية.

ولعل معالجة هاتين المدرستين بشئ من التفصيل يمكن أن يبرز دور كل منهما فى مسار التطور، الذى كانت له انعكاساته التربوية المهمة.

١ـ مدرسة الحتم الجغرافى وجهودها فى تطور علم الجغرافيا:

وربما لا يرجع الفضل لمفكرى هذه المدرسة إلى الاهتمام بتطور وإثراء الجانب الطبيعى من الجغرافية؛ حيث اتجهت الدراسات الجغرافية بعد «ريتر»، و«همبولت» إلى الاهتمام بدراسة وتركيب الأشكال الأرضية (الجيمورفولوجيا) على يد «بيشل» الذى يرجع إليه الفضل فى نشأة هذا الفرع ضمن فروع علم الجغرافيا الطبيعية.

إلا أن أبرز معالم علم الجغرافيا ظهر فى نهاية القرن التاسع عشر على يد «فردريك راتزل»، الذى أصر على إخضاع الإنسان ونشاطه البشرى لتأثيرات البيئة الطبيعية، كما تمكن راتزل من تحرير الجانب البشرى من الجغرافيا الإقليمية، والتى ظهرت من خلال مؤلفاته فى الانثروبولوجيا، والجغرافيا السياسية والتى كان رائداً لنشأتها أيضاً.

ويمكن القول أن هذه المدرسة اعتنقت الفكرة القائلة «إن البيئة لها الأثر الأكبر في حياة الإنسان الذى يخضع لسلطانها، وتتحدد نظم حياته الاقتصادية والاجتماعية تبعاً لما تمليه ظروفها عليه».

وقد امتد التيار الفكرى لهذه المدرسة خارج ألمانيا إلى فرنسا؛ حيث تبنى فكرها هناك ««ديمولان» الذى قال «إن البيئة بظروفها الطبيعية تشكل الإنسان» وتعصب لها «هنتنجتون» فى الولايات المتحدة الأمريكية فى كتاباته، التى تدور حول خضوع الإنسان ونشاطه لتأثير العوامل الطبيعية والمناخ بالذات.

وربما كانت «الين سامبل» من أبرز دعاة هذه المدرسة فى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، والتى أصدرت كتابها المشهور «عن تأثيرات البيئة الجغرافية» والتى قالت فيه: «الإنسان هو نتاج الأرض، وهذا لا يعنى فقط انه ابن الأرض، تراب من ترابها، بل إن الأرض ربته وأطعمته، وواجهته بالمشاكل، ووجَّهت أفكاره، وواجهته بالصعاب التى تقوى جسمه، وتشحذ عقله، وأعطته مشاكل الملاحة، ومشاكل الرى، وفى الوقت نفسه همست له بحلول تلك المشاكل. ولقد تغلغلت فى عظامه ولحمه وروحه وعقله... وقد غالت فى ذلك أكثر حيث قالت إن للمناخ تأثيراً على الأمزجة عند السلالات البشرية بطريق مباشر أو غير مباشر.

إلا أن الفكر الجغرافى لهذه المدرسة قد ووجه باعتراضات كثيرة، وبنقد مرير، ويمكن القول أن الحتم الجغرافى مبالغ فيه إلى حد كبير، حيث أتاح التقدم العلمي والتكنولوجى فرصاً كبيرة ساعدت الإنسان فى السيطرة على بيئته الطبيعية إلى حد بعيد، كما يذهب إلى ذلك أصحاب الفكر المعارض للحتم الجغرافى والمؤيدين للمدرسة الإمكانية.

٢ـ مدرسة الإمكانية (الجغرافية) وجهودها فى تطوير العلم:

وجه أصحاب هذه المدرسة نقدهم ومعارضتهم لفكر مدرسة الحتم الجغرافى فى عبارة يسيرة وهى: «كما أن البيئة الطبيعية بلاشك تؤثر فى الإنسان، فإن

الإنسان بدوره يؤثر فى البيئة، وهناك تداخل دقيق بين أثر الإنسان فى البيئة وتأثره بها، حتى إنه من الصعب أن نعرف متى ينتهى مؤثر ويبدأ آخر.

وقد نشأ فكر هذه المدرسة فى فرنسا على يد الجغرافى «فيدال دى لابلاش» الذى عبر عن فكر هذه المدرسة بقوله «إن الإنسان له الأهمية فى الدراسات الجغرافية بالعناصر البيئية الطبيعية، فهو ليس بالعنصر الخامل، ولكن له من القابليات ما يجعله حراً تجاه عناصرها المختلفة».

وربما كانت هذه العبارة من أقوى ما وجه من نقد لمدرسة الحتم الجغرافى، كما أضاف «لوسيان فيفر» توضيحاً آخر لفكر المدرسة الإمكانية فى عبارته: «لا توجد هنالك فى الطبيعية ضروريات أو حتميات، بل هناك دائماً إمكانيات، وبما أن الإنسان سيد الإمكانيات، فإنه هو الذى يحدد ما يستعمله منها».

واستناداً إلى النصين السابقين.. يمكننا أن نقف على الفكر الجغرافى للمدرسة الإمكانية، الذي يقوم على أهمية العامل البشرى فى سيطرته شبه الكاملة على العامل الطبيعى فى بيئته، وهو هدف فكر الإمكانيين.

ولذلك فإن الإمكانيين يرون أن عناصر البيئة عديدة ومتنوعة، وأن الإنسان هو الذى يختار من العناصر ما يلائمه ويستعمله كيفما يشاء، وتبعاً لحاجاته وقدراته العقلية والعملية، ومهاراته التكنولوجية، ويستندون فى ذلك إلى أن الإنسان ليس كائناً بشرياً سلبياً يخضع لظروف البيئة، فليست التربة الخصبة هى التى تدفع الإنسان قسراً إلى استغلالها فى الزراعة مثلاً. كما أن الإنسان عامل جغرافى، يسهم فى كل وقت بنصيب كبير فى تعديل سطح الأرض، وتغييره، ومهمة الجغرافى أن يدرس مظاهر المكان المتغيرة من زمن إلى آخر، ونتيجة للجهود البشرية المتوالية، وأن يظهر ما يقوم به الإنسان من جهد نحو تهيئة البيئة لسد حاجاته، والملاءمة مع مقتضياتها.

كما أن دعاة هذه المدرسة يضيفون إلى ذلك بأن البيئة لم تعد مظهراً طبيعياً فقط، بل أصبحت مظهراً حضارياً أيضاً. وهم لا ينكرون أثر الظروف الطبيعية

فى الإنسان، بل إنهم يرفضون أن تكون العلاقة بين الإنسان والبيئة حتمية، وضرورة تأكيد هذه العلاقة على حرية اختيار الإنسان من الإمكانات المتعددة فى بيئته، يختار منها ما يشاء، كما تؤكد أيضاً استجابة الإنسان لظروف البيئة، وليس خضوعه لها.

طبيعة المنهج الجغرافى:

يكاد يجمع الجغرافيون على أن محور دراسة علم الجغرافيا يختلف عن محور دراسة أى علم آخر؛ لأن محور دراستها يدور حول تحليل العلاقات السببية لأى ظاهرة من الظاهرات الموجودة فوق سطح الأرض، ويبين كيفية ترابطها مع بعضها لتكوين الشكل الكلى لهذا السطح. ولذا.. فإن أية حقيقة علمية طبيعية كانت أم بشرية، تعتبر ذات فائدة كبيرة فى توضيح هذا التحليل والترابط.

وعلى ذلك.. فإن الجغرافيا ذات هدف واحد أوضحه «همبولت» بقوله: «معرفة الوحدة خلال الاختلافات، وذلك من منطلق أن جميع حقائق الكون تعمل بشكل منتظم ومترابط وبموجب قوانين معينة فى شكل سبب ونتيجة، تختلف تبعاً لاختلاف الظروف المكانية والزمانية، وهدف علم الجغرافيا هنا هو تعرف هذا الترابط، وما ينجم عنه من ظاهرات».

وقد كثرت ظاهرات سطح الأرض وتشعبت، وأصبح كل منهما يتكون من عدد لا يحصى من الظاهرات التى تختلف عن بعضها، كما تعددت كثير من الحقائق التى تمت بصلة إلى تكوين كل ظاهرة، لدرجة إمكان ملاحظة بعضها دون البعض الآخر، على الرغم من تقدم طرق التحليل الكمى، كما أن مدى ومجال هذه الظاهرات يشمل جميع أنحاء العالم، وعلى ذلك يتحدد جهد الجغرافى بظاهرة معينة، أو بجزء معين من سطح الأرض فى الدراسة والتحليل؛ آخذاً فى اعتباره نتائج العلوم الأخرى؛ بحيث أخذ فى اعتباره أهداف الجغرافيا؛ لأن الجغرافيا لا تعالجها بشكلها المنعزل، كما تعالجها العلوم الاختصاصية نفسها، بل إن الجغرافيا تعالجها عن طريق ترابطها بغيرها لما لذلك من علاقة سببية بتكوين

ظاهرات السطح؛ فالجغرافيا مثلاً قد تقتبس بعض الحقائق البيولوجية، وتعالجها جغرافيا فينجم عن ذلك ظهور موضوع (الجغرافيا الحياتية)، وهو أحد الفروع الحديثة لعلم الجغرافيا.

وقد تتناول الجغرافيا الحقائق الطبية وتعالجها بنفس المنهج، فينجم عن ذلك ظهور موضوع الجغرافيا الطبية، وهو أحد الفروع الحديثة أيضاً وذلك تماماً كما تظهر به الجغرافيا المناخية، والجغرافية الاقتصادية والجغرافية الدينية، وغيرها من الفروع المتعددة التى لاتزال فى الازدياد يوماً بعد يوم، كلما نمت ظاهرة جديدة، لها علاقة بوجود الإنسان على سطح الأرض.

وانطلاقاً من ذلك يمكننا أن نقرر بأن منهج البحث الجغرافى منهج مركب لما يأتى:

١ـ يبدأ توزيع الظاهرة الجغرافية.

٢ـ يربط بين الظاهرة الجغرافية وغيرها من الظاهرات البيئية، بقصد الوصول إلى معرفة التفاعل والعلاقة بين البيئة والإنسان.

٣ـ وهو لا يكتفى بالربط وتحليل العلاقات، بل يأخذ أيضاً بمبدأ السببية، الذى يسعى إلى تحليل الظاهرات المختلفة وردها إلى أصولها الجغرافية.

٤ـ ويهدف المنهج الجغرافى كذلك إلى إبراز الاختلافات الإقليمية فى الظاهرة الجغرافية، أو فى مجموع الظاهرات الجغرافية؛ أى التقسيم إلى أقاليم.

ومن منطلق ما تقدم.. فإن المنهج الجغرافى العلمى هو منهج التوزيع والعرض أولاً، ثم منهج الربط والمقارنة والاستنتاج ثانياً، ثم منهج التحليل والتعليل ثالثاً، وهو بذلك يحاول إبراز الاختلافات الإقليمية؛ الأمر الذى تتحقق به عملية الجغرافيا ووحدتها، كما أن طبيعة المنهج الجغرافى هذه تميز علم الجغرافيا عن سائر العلوم، وتعطيه شخصيته المتميزة أيضاً.

تقسيمات علم الجغرافيا وفروعه:

من المعروف أن علم الجغرافيا ـ فى نظرته المتكاملة للإنسان والبيئة ـ يتناول الظاهرات البشرية والطبيعية على سطح الأرض، ونظراً لتنوع الظاهرات الجغرافية وتشابكها؛ فقد اقتضى ذلك أن تتفرع المعرفة الجغرافية الكبرى إلى عدد من الفروع، يعالج كل منها أحد جوانب الدراسة الجغرافية التى يجب أن تتضمنها بالضرورة مقررات الجغرافيا فى مراحل التعليم العام، وأهم تلك الفروع هى:

أولاً: الجغرافيا البشرية"

يكاد أن يجمع الجغرافيون على أن أهم فروع الجغرافيا البشرية هى:

١ـ الجغرافيا الاقتصادية:

ويتمثل هذا الفرع فى دراسة الإنتاج البشرى، فى أى صورة من صوره زراعيًا وحيوانيًا كان أم غابيًا، أم معدنيًا وصناعيًا، وما يرتبط بهذا الإنتاج من توزيع واستهلاك، كما يرتبط بوسائل استثمار البيئة فى أى صورة من صور هذا الاستثمار، ويرتبط أيضاً بوسائل النقل والمواصلات، وبالتسويق، وسبل التوزيع والاستهلاك.

كما تسعى الجغرافيا الاقتصادية إلى دراسة التباين فى استغلال تلك المصادر الأساسية لأجزاء العالم المختلفة، ووسائل استغلال تلك المصادر، وما يترتب على ذلك من نتائج فى التقدم والتنمية لهذه المناطق.

وفى هذا الصدد يشير الدكتور نصر السيد نصر فى كتابه «الموارد الاقتصادية» إلى أن الموارد الاقتصادية ـ والتى تعنى فى الوقت نفسه الجغرافيا الاقتصادية ـ هى كل الهبات أو المنح التى خلقها الله سبحانه وتعالى فى الطبيعة، أو الهبات البشرية التى تتصل بالإنسان، ويمكن أن تتحول بواسطة المجهود البشرى من مجرد محتويات أو كنوز تضم فى داخلها ثروة معينة، إلى ثروة فعلية فى صورة سلع أو خدمات، وبهذا تضم دراسة الموارد الاقتصادية أو ما يعرف بالجغرافيا

الاقتصادية: **أولاً** تحديداً لموارد الثروة وتوزيعها، **وثانياً** الاعتبارات والضوابط التى تؤثر فى استغلالها وتحويلها من مجرد كنوز إلى سلع وخدمات، وثالثاً صور الاستغلال المختلفة فى صورة الإنتاج الزراعى والغابى، والرعوى والمائى والتعدينى والصناعى، ثم رابعاً دراسة النشاط الحركى الذى تمر به هذه السلع فى شكل نقل وتجارة.

ويترتب على هذا التحديد أن دراسة الجغرافيا الاقتصادية أو الموارد الاقتصادية لمصر مثلاً تتطلب:

١ـ دراسة توزيع موارد الثروة الطبيعية والبشرية فى صورة دراسة المناخ وسطح الأرض، والموارد المائية والنباتية، والرعوية، والموارد المعنية والبشرية.

٢ـ الضوابط والاعتبارات المختلفة التى تؤثر فى استغلال هذه الموارد.

٣ـ استغلال هذه الموارد فى صورة الإنتاج الزراعى والتعدينى والصناعى.

٤ـ النشاط الاقتصادى فى صورة النقل والتجارة.

ومن منطلق هذه النقاط نجد أن دراسة الموارد الاقتصادية أو فرع الجغرافيا الاقتصادية يرتبط ارتباطاً كبيراً بظاهرات سطح الأرض الطبيعية والبشرية، الأمر الذى يمكن أن نقول إن دراسة الموارد الاقتصادية كما تفيد من دراسة العلوم الأخرى، فهى كذلك تلقى كثيراً من الضوء على القيمة التطبيقية لهذه العلوم، وما قد يتصل ببعضها من مشكلات. وهنا تقتضى الضرورة الاعتماد على المنهج الإحصائى الكمى فى تحليل الإحصائيات والأرقام الخاصة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك، واستناداً إلى ذلك يمكن أن تتلخص قيمة دراسة الموارد الاقتصادية فى الاعتبارات الآتية:

١ـ تعرف الصورة الاقتصادية الكاملة للعالم ـ مناطق القوة ومناطق الضعف الاقتصادى.

٢ـ تحليل هذه الصورة الكاملة بغرض المساعدة على توضيح ما نعيشه اليوم من مشكلات اقتصادية وسياسية.

٣ـ على المستوى الإقليمى المحلى والوطنى، تعتبر دراسة الموارد الاقتصادية المحلية أساساً عند رسم الخطة الاقتصادية.

٤ـ قد تفيد دراسة الموارد الاقتصادية عن طريق غير مباشر فى عرض منهج خاص للتفكير العلمى، هو فى الواقع المنهج الجغرافى، منهج التوزيع والعرض أولاً، ثم منهج الربط والمقارنة والاستنتاج ثانياً، ثم منهج التحليل والتعليل ثالثاً، وهو ما يدعونا إلى الأخذ بهذه المفاهيم الجديدة محتوى ومنهجاً وتضمينه فى مقررات الجغرافيا فى مراحل التعليم العام، ونبذ الصورة القديمة التى كانت تركز على الوصف المنطلق من التوزيع للموارد الاقتصادية فى العالم أو الدولة، دون الاستناد إلى منهج علمى فى هذا التوزيع ويساهم المنهج الإحصائى الكمى مساهمة كبيرة فى هذا الشأن ليوضح كثيراً من حقائق الجغرافيا الاقتصادية، ونظراً لتعدد تلك الموارد الاقتصادية وتنوعها، تفرعت الجغرافيا الاقتصادية إلى عدة فروع من أبرزها:

١) جغرافية الإنتاج الزراعى، وموارد الثروة الزراعية.

٢) جغرافية الموارد الغابية.

٣) جغرافية الإنتاج الحيوانى، وموارد الثروة الحيوانية.

٤) جغرافية موارد الثروة المائية بأشكالها المتعددة.

٥) جغرافية الإنتاج المعدنى، وموارد الثروة المعدنية.

٦) جغرافية الإنتاج الصناعى.

٧) جغرافية التوطن الصناعى.

٨) جغرافية استغلال الأرض، ومناطق الاستصلاح.

٩) جغرافية النقل والمواصلات.

١٠) جغرافية التجارة، والتبادل التجارى.

وهذه الفروع كلها تتلخص فى التوزيع والربط والتحليل والتعليل، مع الرجوع إلى أصولها الجغرافية الطبيعية والبشرية.

٢ـ الجغرافية الاجتماعية:

ويختص هذا النوع بدراسة عديد من ظاهرات الجغرافيا البشرية تتمثل فى:

دراسة جغرافية السكان، وجغرافية السكن تلك التى تختص (بالعمران البشرى فى الريف والمدن)، ودراسة الوحدات والنظم الاجتماعية ووظائفها.

والجغرافيا الاجتماعية فى دراستها لتلك الظاهرات، تنظر إليها من خلال الإقليم، والظروف التى يعيشها المجتمع، وفى ضوء خصائصه الجغرافية؛ أى إنها تسعى إلى تميز أنماط اجتماعية متمايزة ومحددة فى إطارات إقليمية، وهى بهذا تسعى إلى استجلاء وتحديد الشخصيات الاجتماعية، وتردها إلى أصول بيئية مباشرة أو غير مباشرة.

كما تسعى إلى تفسير عوامل الانتشار الثقافى والامتزاج بين الشعوب والبيئات المختلفة فى ضوء ظروف المكان والموقع والعناصر الطبيعية، كما تهتم بالاختلافات المتباينة فى أقاليم الدولة الواحدة، وتتناول دراسة السكان ومراكز العمران البشرى بشقيه فى الريف والمدن، وهى فروع حديثة لها اتصال مباشر بعلم تخطيط المدن.

وبالإضافة إلى ذلك.. تعالج الجغرافية الاجتماعية دراسة اتجاهات النمو السكانى، تلك التى بدأت تأخذ حيزاً كبيراً على مستوى دولى، وعوامل هذا النمو من مواليد ووفيات وهجرة، ودراسة توزيعهم وثقافتهم، وتفسير العوامل الجغرافية فى هذا التوزيع، ودراسة الهجرة الداخلية التى يترتب عليها إعادة توزيع السكان، وتتبع تياراتها، وتحليل عوامل الجذب فى المناطق، كما أن دراسة جغرافية السكان تهدف إلى إبراز المشكلات السكانية على اختلافها فى مناطق العالم وأقطاره.

كما تختص جغرافية السكن بدراسة التجمعات العمرانية ابتداءً من القرية الصغيرة حتى المدينة الكبيرة، وتتناول بالدراسة هذه المراكز العمرانية ـ ولا سيما المدن ـ من حيث تركيبها الداخلى ونموها العمرانى والوظيفى، وقد ساهمت هذه الدراسات الجغرافية فى تقديم مساعدات كبيرة لمخططى المدن.

(٣) الجغرافيا السياسية:

من الملاحظ أن الجغرافيا السياسية تدرس الدولة كظاهرة جغرافية، لها حدودها وموقعها الجغرافى، ولها مقوماتها البشرية وإمكاناتها الاقتصادية. وتهدف دراستها فى النهاية إلى إبراز المشاكل السياسية التى ترتبت على هذه الأوضاع السياسية، كما تتناول الجغرافيا السياسية دراسة دول العالم من زاويتين:

أ) دراسة الدولة ذاتها من الداخل.

ب) دراسة علاقة الدولة بغيرها من الدول.

هذا بالإضافة إلى دراسة الظاهرات السياسية العامة من وجهة النظر الجغرافية، مثل الاستعمار، والصراع العالمى، والأحلاف العسكرية، ومراكز القوى، والحدود السياسية ومشكلاتها.

(٤) جغرافية الأجناس والسلالات البشرية:

يرجع لهذا الفرع الفضل فى دراسة الإنسان من حيث أصله، وسلالاته ومميزاته الجسمانية، ومدى تأثرها بعوامل البيئة الطبيعية، وهذا الفرع وثيق الصلة بعلم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) ـ هذا مع العناية بدراسة العناصر المختلفة، التى تضمها كل سلالة من السلالات البشرية، مع العناية بتوزيع كل هذا توزيعاً جغرافياً، وتوضيح تأثره بعناصر البيئة المختلفة.

ويرجع الفضل للعالم «روكسبى» فى تقسيم جانب الجغرافيا البشرية إلى الفروع الأربعة السابقة

ونتيجة لازدياد المعرفة الجغرافية فإنه يظهر من داخل كل فرع من هذه الفروع فى الوقت الحاضر فروع بشرية جديدة، تتفرع من الفرع الأصلى كجغرافية الأمراض، وجغرافية الديانات وغيرها.

ثانياً: الجغرافيا الطبيعية:

وتمثل الجانب الثانى الرئيسى من علم الجغرافيا، وتشمل الفروع الآتية:

١- جغرافية التضاريس (سطح الأرض):

ويتناول هذا الفرع بالدراسة الغلاف الصخرى والغلاف المائى، وترتبط دراسة الغلاف الصخرى بعلم الجيولوجيا، الذى أصبح فرعاً من فروع الجغرافيا الطبيعية يعرف باسم الجيمورفولوجيا. ويهتم هذا الفرع بصفة خاصة بدراسة العوامل المختلفة التى تشكل سطح الأرض، فهى بذلك علم دراسة الأشكال التى يتخذها سطح الأرض.

كما تتناول دراسة هذا الفرع الغلاف الصخرى لسطح الأرض من حيث أشكاله المختلفة من جبال وهضاب وسهول؛ لأن ذلك قد يفيد فى دراسة الجغرافيا الاقتصادية، سواء كان الإنتاج الزراعى أو المعدنى والصناعى، وتعتمد عليه التنمية الاقتصادية فى مختلف دول العالم.

كما تتناول دراسة الغلاف المائى وتوزيعه على سطح الأرض بأشكاله ونوعياته المتعددة، لما له من أهمية كبيرة، من حيث موارد الثروة المائية من ناحية، والقوى المائية الكهربائية من ناحية ثانية، والنقل والمواصلات والتجارة الدولية من ناحية ثالثة.

٢- الجغرافية المناخية:

ويتناول هذا الفرع دراسة الغلاف الجوى، كما يتناول عناصر المناخ من حرارة وضغط جوى والرياح والرطوبة وأنواع التساقط المختلفة، كما يهتم هذا الفرع بتحليل العوامل المختلفة، التى تؤثر فى هذه العناصر المناخية؛ لما لها من أهمية كبيرة من حيث ترابطها بالفروع الأخرى.

٣- الجغرافية الحيوية:

ويختص هذا الفرع بدراسة النبات والحيوان الطبيعى على سطح الأرض، كما يرتبط الفرع بعلمى النبات والحيوان، كما تتصل دراسة النبات بعلم التربة، وهو أحد الفروع التى استحدثها جانب الجغرافيا الطبيعية، ولما لهذا الفرع من أهمية

كبيرة اعتمد عليها الإنتاج الزراعى، أحد فروع الجغرافيا الاقتصادية، فاهتم بأنواع التربة وتوزيعاتها المختلفة وربطها بخطط التنمية الاقتصادية فى الدولة.

وربما كان هدف الجغرافيا الطبيعية فى هذه الحالة هو إعطاء تلك الصورة المتكاملة للظاهرات الطبيعية فى البيئة الواحدة أو الإقليم الواحد، ومعرفة إمكانة استثمار الإنسان لتلك البيئة، أو بمعنى آخر معرفة ما تقدمه البيئة إلى الإنسان من مساعدة ومعرفة لاستثمارها، أو ما تضعه أمامه من صعوبات وعوائق تحول دون الاستثمار المتكامل لها.

ثالثاً: الجغرافية الإقليمية:

يلاحظ أن الجغرافيا الإقليمية تضم كلاً من جانبى الجغرافيا الطبيعية والبشرية، ومعنى هذا أن الجغرافيا الإقليمية توحد الجانبين الأساسيين من جوانب علم الجغرافية؛ فهى تتناول بالدراسة جميع عناصر البيئة الطبيعية من جهة، والإنسان ومظاهر نشاطه من جهة أخرى فى إطار إقليمى.

أو بمعنى آخر هى عبارة عن تجميع لكل فروع الجغرافية، داخل وحدة مكانية واحدة.

ويتجلى المنهج الجغرافى بوضوح فى دراسة الجغرافية الإقليمية؛ لأنها تعنى عناية خاصة بالربط بين المظاهر الجغرافية المختلفة ـ طبيعية وبشرية ـ لإبراز العلاقة المركبة بين البيئة والإنسان فى المكان الواحد، وهى تقوم أساساً على التقسيم إلى أقاليم، ودراسة العلاقة بين البيئة والإنسان داخل كل إقليم.

رابعاً: الجغرافية التاريخية:

ويختص هذا الفرع بدراسة الظاهرات الجغرافية فى الماضى، سواء كانت ظاهرات طبيعية أو بشرية، وهو يقوم بتتبع الظاهرات الجغرافية منذ نشأتها حتى الوقت الحاضر تعميقاً للفهم، وابتغاءً للتفسير، وإبرازاً للجهد البشرى فى الأزمنة المتعاقبة، مما ييسر السبيل للوصول إلى أساسيات الظاهرات الجغرافية المختلفة.

ويتحتم هنا أن تتعرض مقرراتنا الدراسية فى الجغرافيا إلى هذا الفرع فى محتواها؛ لما له من أهمية كبيرة تساعد على التفسير والتحليل والربط والتنبوء.

خامساً: دراسة الخرائط:

لم تعد دراسة الخرائط فرعاً من فروع علم الجغرافيا فحسب، ولكنها أصبحت علماً له كيانه يعرف اليوم باسم الكارتوجرافيا، يختلف فى طبيعته ومنهجه عن علم الجغرافيا. إلا أن هذا الفرع يشكل مصدرًا مهماً وسجلاً حافلاً لكثير من المعلومات الجغرافية، وهو فى الوقت نفسه وسيلة هامة لتسجيل الظاهرات الجغرافية الطبيعية، والبشرية ولذلك ينبغى أن يدرب عليها الطالب والجغرافى باعتبار أن استخدام الخرائط وسيلة للتعبير الجغرافى؛ لأنها تغنى عن النص المكتوب، إلى جانب أهميتها وفائدتها فى الحياة اليومية والأسفار والرحلات، وهى بذلك جزء من الحياة المدنية.

كما أن هذا الفرع يعد مصدراً لكثير من المهارات المرتبطة بقراءتها وتفسيرها وفك رموزها. وبالإضافة إلى ذلك.. يمكنها أن تزود التلاميذ ببعض الميول الخاصة فى تتبع الظاهرات الجغرافية طبيعية كانت أم بشرية وتوزيعها عليها، أو القيام بعملها ورسمها والتوزيع عليها.

ونود هنا أن نؤكد على أن علم الجغرافيا يتميز بطبيعة عملية تبدأ فى الحقل وتنتهى فى الحقل، وأصدق تعبير على ذلك اتخاذ البيئة المحلية كنموذج لهذه الطبيعة العملية؛ لأنها الحيز المكانى الذى يعيش فيه التلاميذ، وهذا يساعدهم على اشتقاق المعلومات، وتنمية المفاهيم، وإكساباً للمهارات، وتيسيراً للفهم، وتفسيراً للعلاقات وتطبيقاً للنتائج التى يتوصلون إليها من ذلك.

الاتجاهات الحديثة التى ظهرت كنتيجة لنمو وتطور الفكر الجغرافى، وما استحدثه علم الجغرافيا:

لقد كان للاتجاهات الحديثة التى ظهرت كنتيجة لنمو وتطوير الفكر الجغرافى، وما استحدثه علم الجغرافيا من فروع معرفية جديدة فى الوقت الحاضر، أن

تتضح انعكاسات كل ذلك على مناهج الجغرافيا ومقرراتها الدراسية فى مراحل التعليم العام، وهذا يدعونا إلى الحديث بإيجاز عن أهم هذه الاتجاهات الحديثة فى مجال دراسة الجغرافيا، وهى على النحو التالى:

١ـ الاتجاه الموسوعى:

ويتمثل هذا الاتجاه فى جميع المعلومات والحقائق والملاحظات التى سجلها الرحالة المكتشفون، وساهم هذا الاتجاه فى تقدم الجغرافيا الحديثة، وهو اتجاه قديم وغير معاصر.

٢ـ الاتجاه الاستعمارى:

وفيه خرج جغرافيو الدول الأوروبية الاستعمارية إلى مستعمراتهم لدراسة جغرافيتها، حيث أنشأوا بها كليات جامعية تابعة لجامعاتهم فى أوروبا، ثم بعد استقلال هذه المستعمرات، أخذت على عاتقها القيام بدراسات جغرافية محلية، وكانت كل هذه الدراسات موجهة نحو دراسة إمكانات التعمير والاستغلال الاقتصادى بأقصى درجة لهذه المناطق.

٣ـ الاتجاه نحو التعميم:

وقد ظهر هذا الاتجاه خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، وإن كان الجغرافيون قد اهتموا قبل ذلك بالتوزيعات العالمية لبعض الظاهرات الجغرافية، مثل أنماط المناخ والنبات، إلا أنهم اهتموا بتعميم هذه الأنماط على المستوى العالمى، وقد تبنى هذا الاتجاه كل من: «هربرتسون» صاحب الأقاليم الطبيعية المشهورة، و«ماكند» صاحب نظرية قلب اليابس فى الجغرافيا السياسية، وهما من رواد هذا الاتجاه فى الدراسات الجغرافية.

٤ـ الاتجاه السياسى:

ويقصد به الاتجاه بالدراسات الجغرافية نحو الاهتمام بالجغرافيا السياسية، وقد ظهر هذا الاتجاه فى أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١١ـ ١٩١٨)، تلك الحرب

التى تمخضت عن إعادة تخطيط الخريطة السياسية لأوروبا، وكان من الطبيعى أن يكون للجغرافيون رأيهم فى تلك الحدود السياسية الجديدة من حيث مقوماتها الطبيعية والبشرية، وإمكاناتها الاقتصادية، والتى تمثلت فى دراسة «بومان» فى كتابه «العالم الجديد».

٥ـ الاتجاه نحو التخصيص:

وقد ظهر هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية، ومازال سائداً حتى الآن نتيجة لاتساع ونمو حجم المعارف الجغرافية من ناحية، والتعمق فيها من ناحية أخرى.

ففى مجال الجغرافيا الطبيعية.. ظهرت دراسات متخصصة وعميقة فى الجيمورفولوجيا والمناخ. وفى مجال الجغرافيا البشرية ظهرت فروع جديدة، أصبح لها كيانها المستقل بين فروع علم الجغرافيا مثل جغرافية المدن، وجغرافية العمران البشرى فى الريف والمدن.

٦ـ الاتجاه التطبيقى:

ربما يعتبر هذا الاتجاه من أحدث الاتجاهات الحديثة المعاصرة لعلم الجغرافيا؛ فهو لم يبدأ فى الظهور إلا منذ حوالى عشرين عاماً، وقد ظهر من خلال بحث الجغرافيين عن هدف نفعى يسعون إلى تحقيقه عن طريق علم الجغرافيا. كما ارتبط أساساً بمبدأ التخطيط الذى ظهر فى الاتحاد السوفيتى السابق، ثم انتشر بعد ذلك فى كثير من دول العالم المتقدم.

وقد استطاع الجغرافيون أن يثبتوا جدارتهم بما قدموه من دراسات للمدن بعد أن تقدم فرع جغرافية المدن، ومن دراسات للمناطق الريفية بعد أن تقدم فرع جغرافية الريف، وربما كان ما قدموه فى هذين المجالين خير معين لتخطيط وإعادة تخطيط المدن والريف، هذا فضلاً عن ظهور فكرة الإقليمية والمسح الجغرافى للأقاليم، مما ترتب عليه تمكين الجغرافيين من الإسهام الحيوى فى التخطيط الإقليمى، كما نتج عن هذه الدراسات أيضاً ما يعرف بدراسات استخدام الأرض، التى يرجع الفضل فيها للجغرافى البريطانى «دادلى ستامب».

٧- الاتجاه التعليمى:

ربما يعتبر هذا الاتجاه من أهم الاتجاهات الحديثة والمعاصرة لعلم الجغرافيا وإسهاماً لها فى عملية التعليم؛ لما له من أهمية وظيفية لهذا العلم؛ لأن الجغرافيا أدخلت كمادة مدرسية فى مختلف مراحل التعليم تقريباً، منذ نهاية القرن التاسع عشر فى معظم دول العالم، عن طريق تأليف الكتب المدرسية، والمحاضرات العامة من قبل كبار الجغرافيين؛ بهدف نشر الوعى الجغرافى؛ مما أدى إلى ظهور الدراسات الميدانية خارج فصول المدرسة، عن طريق الاهتمام بتدريس جغرافية البيئة المحلية، وجغرافية الوطن الذى ينتمى إليه الطلاب. وهذا الاتجاه هو ما يعرف بالجغرافية كمادة مدرسية فى مراحل التعليم العام، وهو موضوع الفصل الثانى من هذا الكتاب.

obeikandl.com